جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية
NAIF ARAB UNIVERSITY FOR SECURITY SCIENCES
Est. 1978

Naif Arab University for Security Sciences
Arab Journal for Security Studies
المجلة العربية للدراسات الأمنية
https://journals.nauss.edu.sa/index.php/ajss

AJSS

Dehumanization: The Turning Point for Terrorism

التجريد من الإنسانية: نقطة التحول للإرهاب

عبد المنعم شحاتة محمود
قسم علم النفس، كلية الآداب، جامعة المنوفية، جمهورية مصر العربية.

Abdel Moneim Shehata Mahmoud
Department of Psychology, Faculty of Arts, Menoufia University, Egypt.

Received on 15 Jan. 2024, accepted on 22 Apr. 2024, available online on 11 Jun. 2024.

Abstract

This review paper aims to explore the role of dehumanization as a pivotal factor in the progression towards terrorism, with a specific focus on how ideological extremists perceive their adversaries. Through a descriptive approach, the study synthesizes research over the last two decades to shed light on the phenomenon of dehumanization.

The findings of the review indicate that dehumanization plays a critical role in the radicalization process, as terrorists distort moral judgments by merging personal and social identities with group membership. This collective identity formation leads extremists to view their opponents as subhuman, thereby justifying violent actions against them.

Moreover, the review underscores the serious repercussions of dehumanization, spanning human, psychological, social, and economic domains. Extremist organizations utilize identity - changing mechanisms to manipulate their members' moral judgments, exacerbating the dehumanization of adversaries.

Despite the significant implications of dehumanization in terrorism, Arab researchers have largely overlooked this phenomenon. To address this gap, the paper suggests the need for the development of psychological intervention programs targeting individuals susceptible to dehumanizing others. By leveraging insights from research on dehumanization, these interventions aim to mitigate the dangers posed by radicalization and terrorist acts.

Keywords: *security studies, dehumanization, social evaluation, moral evaluation, terrorism.*

المستخلص

تلقي هذه الدراسة الضوء على الكيفية التي يرى بها المتطرفون أيديولوجيا معارضيهم، وتستعرض الآليات النفسية لهذه النظرة وهي: التقييم الاجتماعي كآلية تحكم معرفي وتنظيم سلوك من خلال ربط سلوك بشخص، ثم ربطه بقيمة، يؤدي هذا التقييم إلى الإرهاب؛ نتيجة تقييمات ومعرفة أخلاقية تحدد الحكم الخلقي. وتشوه هذا الحكم سمة مميزة للإرهابي، تم حين انصهرت هويته الشخصية وهويته الاجتماعية مع عضوية جماعة؛ فتحولت إلى هوية جمعية، استنادًا لها رأى معارضي جماعته ليسوا بشرًا فاستبعدهم من منظومة الأخلاق تبريرًا لإيذائهم؛ ومن ثم يعد التجريد من الإنسانية مركز التحول إلى الإرهاب، مع هذا لم يحظَ باهتمام باحثين عرب. ولتجاوز هذه الفجوة، تتبع هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي لوصف التجريد من الإنسانية، وقد أظهرت النتائج أن التقييم الاجتماعي ظاهرة نفسية اجتماعية مهمة لتكوين علاقات متبادلة بين الأفراد، ويتضمن التقييم الاجتماعي إصدار أحكام أخلاقية تعد نتاج عمليات نفسية اجتماعية. وأن التنظيمات المتطرفة تشوه أحكام بعض أعضائها بواسطة آلياتها في تغير التفكير، وجوهر هذا التشوه تجريد معارضيها من إنسانيتهم، ولهذا التجريد من الإنسانية عواقب خطيرة إنسانيًّا ونفسيًّا واجتماعيًّا واقتصاديًّا.

وتوصي الدراسة بأهمية تطوير مقياس عربي، يتناول كيفية قياس التجريد من الإنسانية حتى يمكن التنبؤ بالمهيئين لتجريد غيرهم من إنسانيتهم، وتطوير برامج تدخل نفسي، تستهدف هؤلاء المهيئين للحد من خطرهم.

الكلمات المفتاحية: الدراسات الأمنية، تجريد من الإنسانية، تقييم اجتماعي، تقييم أخلاقي، إرهاب.

Production and hosting by NAUSS

* Corresponding Author: *Abdel Moneim Shehata Mahmoud*
Email: mneim68@gmail.com
doi: 10.26735/FVMX6659

1319-1241© 2024. AJSS. This is an open access article, distributed under the terms of the Creative Commons, Attribution-NonCommercial License.

1. المقدمة

تتمثل خطورة التعصب في رؤية البعض أنهم أعلى قيمة من البعض الآخر، وهذا يبرر لهم عدم المساواة؛ إذ يسعى أفراد هذا البعض للاستئثار بالمزايا الاجتماعية، ومنعها عمن يرونهم أدنى قيمة، فعلى سبيل المثال، تبنى النازيون تسلسلًا هرميًّا بيولوجيًّا أدناه اليهود وشبههوهم بالحشرات، كما وصف «ستالين» أعداءه بأنهم عناكب مصاصي دماء، وجرَّد الروس الأوكرانيين من إنسانيتهم (Hodson & Dhont, 2023)، هذا التشبيه هو تجريد أعضاء فئة بشرية من إنسانيتهم، وله خطورته التي قد تصل إلى التحريض على القتل؛ إذ تدعم أدلة استعرضها «لنديري» Landry وزملاؤه (2024) أنه تبرير لعنف انتقامي، فعلى سبيل المثال كان رد فعل أمريكيين كثر على اعتداءات تنسب لإيرانيين هو تجريد كل الإيرانيين من إنسانيتهم، وتنبأ رد الفعل هذا بدعمهم قصف مدنيين إيرانيين بالقنابل. بالمثل فإن الذين جردوا بعض المسلمين من إنسانيتهم أبدوا تأييدًا لقتل كل مسلم على وجه الأرض انتقامًا لحادث إرهابي، وتنبأ هذا بدعمه جرائم حرب انتقامية كتعذيب أسرى وقتل مدنيين، فتجريد شخص من إنسانيته ليس فحسب كراهيته، بل الحكم بأنه خارج القيم الأخلاقية الإنسانية، بما يجعل إيذاءه مقبولًا ومبررًا، وهذه ظاهرة عابرة للأيديولوجية، بمعنى أن كل الأيديولوجيات وبغض النظر عن الاختلافات بينها، يكون متطرفوها أكثر عدوانية، وأقل تسامحًا تجاه معارضيهم.

مشكلة الدراسة وتساؤلاتها

كيف يقوم البشر بهذا التقييم؟ وكيف ينحرف فيؤدي إلى الجرائم الخطيرة المشار إلى أمثلة لها آنفًا؟، هذا ما تسعى إلى محاولة فهمه المراجعة الراهنة، وتستهدف المراجعة الراهنة لفت انتباه الباحثين في مجالات الدراسات الأمنية والبحوث النفسية الاجتماعية إلى ظاهرة التجريد من الإنسانية، ويتم هذا بإلقاء الضوء على آلياتها النفسية الاجتماعية، وتوضيح لماذا هي نقطة التحول للإرهاب؛ لذا تكمن إشكاليتها في سؤالين:

- على أي أساس يرى فرد شخصًا آخر أقل قيمة منه؟ وما العمليات النفسية وراء هذه النظرة؟
- ما تداعيات التجريد من الإنسانية؟ وما آليات حصول هذه التداعيات؟

2. المنهجية

تستخدم الدراسة الحالية منهجية المراجعة العلمية للأبحاث والدراسات التي تناولت العمليات النفسية والاجتماعية التالية: 1) التقييم الاجتماعي Social evaluation، ووظائفه للفرد وللمؤسسات وللمجتمع كاملًا. 2) ما يتضمنه من تقييم أخلاقي 3) ما ينتج عنه من تشوه الأحكام الأخلاقية لدى البعض، والمتمثل في تجريد إنسانية من هو موضوع التقييم، وما يترتب على ذلك من استباحة إيذائه أو إرهابه. 4) توسيع استخدام ظاهرة التجريد من الإنسانية في مجالات حياتية مختلفة.

3. التقييم الاجتماعي

يقوم أي فرد في أي مكان بهذا التقييم تارة، ويكون موضوعًا له تارة أخرى، فهو يقيم نفسه، كما يقيم الآخرين، ويقيم جماعته وجماعات المجتمع الأخرى أيضًا. وبغض النظر عن درجة دقة التقييم وشموليته، فإنه ينظم للقائم به معلوماته الاجتماعية، ويوجه سلوكه بشكل فعَّال، والبشر يمارسونه حتى يقرروا ما هو مفيد أو ضار لبقائهم وازدهارهم. في المقابل يُسهم التقييم الاجتماعي في الاستقطاب السياسي؛ لأنه آلية ترسيخ صور نمطية سلبية تجاه ناشطي قضايا اجتماعية وبيئية متنوعة (Abele, et al., 2021).

يعد فهم عملية التقييم الاجتماعي صعبًا؛ نظرًا لأن أساس تقييم الموضوعات غير الاجتماعية واضح وأحادي البعد، بينما هذا الأساس غامض وأبعاده متعددة، ومتشابكة في حال تقييم البشر(Abele, et al., 2021)؛ لأنه عملية نفسية معقدة لا تنفصل عن سياقها.

حتى نفهم المقصود بالتقييم الاجتماعي نتعرف على مفرداته: تقييم واجتماعي، يشير التقييم إلى «الفحص الدقيق والشامل لشيء ما، وبوجه خاص تحديد ما يستحقه، أو قيمته أو مدى الرغبة فيه، على سبيل المثال، تقييم أسلوب علاجي معين هو تحديد مدى نجاحه في تحقيق أهداف محددة» (VandenBos, 2015, 388). ويشير «الاجتماعي» إلى كون موضوع هذا التقييم هو فرد أو مجموعة أفراد؛ إذ تعد مقابلات التوظيف مقابلات لتقييم أشخاص، وهي بمنزلة مناقشة ما لدى الفرد من جدارات وتفضيلات تنتهي إلى اختياره أو رفضه. وتصف الكلمتان معًا عملية عقلية بموجبها يعزز الفرد تفضيله لمن يراه فيتحيز له إيجابيًّا، أو يتجنب أفرادًا يراهم معادين للمجتمع antisocial ويتحيز ضدهم سلبيًّا، بمعنى آخر يعين الفرد من خلال هذه العملية قيمًا مختلفة (إيجابية أو سلبية) لأنماط سلوكية معينة، يتم تبادلها أثناء التفاعل الاجتماعي، ويربطها بأفراد بعينهم؛ ممَّا يجعله يستجيب - استهجانًا أو تفضيلًا - تجاه من ربط بينهم وبين هذه القيمة الإجمالية.

وهذه العملية تظهر كمهارة تساعد الفرد على التنبؤ بسلوك الآخرين، وتيسر اختيار أحدهم شريكًا مناسبًا لنشاط يأمل في نجاحه، هذه المهارة ليست مقصورة على البشر؛ إذ كشفت نتائج دراسات

كثيرة وجودها لدى الشمبانزي والكلاب (Abdai & Miklósi, 2016) وغيرهما من الكائنات الحية، الفارق بين البشر وما دونهم هو في مدى القيام بذلك، وتكراره، والعمليات المعرفية التي تقف وراءه (Melis. & Raihani, 2023).

يختار الفرد إذن شركاءه في موقف تفاعلي حينما ينسب لأحدهم قيمًا إيجابية، وينسب لغيرهم قيمًا سلبية، يتم هذا عندما يربط أفعالًا بقيم، وقيم بأشخاص، كيف؟ من خلال قدرته على تقدير وزن أفعال هذا الشخص استنادًا إلى أهميتها، أو كون صاحبها محل ثقة، فبعض الأفعال تستمد أهميتها من سياق إصدارها فيه، وبعضها الآخر من سمات شخصية فاعلها. في ضوء هذا طور «أبداي» Ab-dai و«مكلوسي» Miklósi (2016) نموذجًا لتعيين قيم إيجابية أو سلبية لسلوكيات صادرة عن شخص ما في موقف تفاعل مباشر أو غير مباشر، يتمثل الفرد عقليًّا معلومات متاحة عن هذا الشخص، ثم يتحيز له أو ضده، ويكون القرار باستمراره شريك تفاعل أم لا.

يبرز التعريف السابق للتقييم الاجتماعي أهمية كل من:

- السياق والقيم والمعتقدات الحاكمة له، ففي ضوئها يتم فهم السلوك.
- تعدد زوايا رؤية سلوك ما، فاختلاف الموجودين في موقف سلوكي معين معناه تباين الرؤى، ومن المهم وضعها جميعًا في الحسبان للوصول إلى فهم شامل للسلوك.
- استخدام التفكير الناقد عند ممارسة التقييم الاجتماعي.

تتمثل أهمية هذه العملية للفرد في أنها تتيح له اختيار شريك تفاعل مردوده إيجابي وتعاوني، وتجنب الشريك الذي هو إما غير مألوف، يكون التفاعل معه محفوفًا بالمخاطر، وإما مألوف، وسبق تقييم أن مردوده سلبي أو سيء، أو له عواقب مؤذية. ويتأثر اختياره هذا بمدة التفاعل، فقصير الأمد منه لا يحتاج وضوحًا يتطلبه التفاعل طويل الأمد (Melis & Raihani, 2023).

والتفاعل مع آخرين وسيط تكوين الجماعات؛ لذا التقييم الاجتماعي مهم لها، ولجماعات العمل خاصة، ومهم أيضًا للمجتمع؛ لأنه يشكل الوعي الجمعي، الذي يحدد معتقدات وقيم مجتمع معين، توجه أفراده للتحيز مع أو ضد غيرهم، هذا التحديد يتم من خلال تكوين ذاكرة شعبية، تعد أساس الهوية الجمعية. أضف إلى ذلك أنها تفسر لنا تزييف تاريخ الأمم؛ إذ يتأثر سرد أحداث تاريخية بأيديولوجية المؤرخ وقيمه الثقافية التي اكتسبها عبر تفسير جمعي لأحداث وقعت في الماضي ورموزها؛ فيتجاهل تحليله بعضها، ويبرز بعضها الآخر مفصلًا مردودها بما يقنع بملاءمتها للحاضر، فيكون استحضارها لتشكيل وعي جمعي (Abdai & Miklósi, 2016).

يكشف ما سبق أن فهم كيفية حدوث التقييم الاجتماعي سيساعدنا في تفسير ظواهر اجتماعية، تعد ملامح جوهرية لحضارة اليوم، منها ما هو عام كالتمييز وغياب العدالة، ومنها ما هو نوعي كتوظيف الأفراد وتطويرهم، وإدارة التعاون عبر الفرق، والتعامل مع مجموعات متنوعة من الموظفين والعملاء. فالتقييم الاجتماعي إحدى عمليات التحكم المعرفي؛ لأنه آلية تنظيم سلوكي فعَّال، بوصفه منظومة مراقبة التعارض والتنافر بين تمثيلات عقلية نشطة، ونقطة البدء في استعادة اتساقها، هذه المراقبة تجعل الفرد قادرًا على الانتباه له، ومن ثم يتحكم فيه. على سبيل المثال، كشفت نتائج البحوث أن التقييم الاجتماعي يفسر نمط التحيز المتسق لدى ضابط شرطة أبيض في الولايات المتحدة الأمريكية؛ إذ يتسرع في إطلاق النار وبدقة على فرد أسود غير مسلح مقارنة بأبيض حتى لو كان مسلحًا؛ وذلك لأن صنع القرار لديه يتطلب اكتشاف التعارض بين إطلاق النار وعلامات تشير إلى كون الأسود غير مسلح (Ito, 2010).

وبقدر الإفادة المترتبة على هذا التقييم، ففي ضوئه يقرر فاعله أي علاقة اجتماعية يبدؤها، ويحافظ عليها، إلا أنه يؤدي أحيانًا إلى ظواهر سلبية خطيرة، تهدد الفرد والمؤسسة والمجتمع، وبالتالي يعد فهم هذا الجانب مهمًّا حتى يرسي المجتمع الإنساني العدالة والنزاهة، وشيوع التسامح بين فئاته. والسؤال الملح هو: كيف يؤدي التقييم الاجتماعي إلى هذه الظواهر الخطيرة؟، محاولة إجابة هذا السؤال أصبحت أكثر إلحاحًا في ظل كثرة وتنوع المعضلات الأخلاقية التي تواجه إنسان العصر الراهن، وهي معضلات يزيدها تعقيدًا التغيرات المتلاحقة في منظومات الحياة على جميع المستويات.

3. 1 آليات التقييم الاجتماعي

تكمن إجابة السؤال المشار إليه آنفًا في قيام الفرد خلال عملية التقييم الاجتماعي بكل من: إطلاق أحكام أخلاقية، سواء على نفسه وما يفعله، أو على الآخرين وتصرفاتهم، واتخاذ قرار باختيار سلوكه وفقًا لهذه الأحكام. بمعنى آخر، فإن اختيار الفرد تصرفًا ما في موقف اجتماعي هو قرار أخلاقي، يعد نتاجًا لحكم أخلاقي حيثياته تقييمات ومعرفة أخلاقية، التي هي عمليات نفسية، تقف وراء إصدار أحكام وقرارات أخلاقية (Van Bavel, Packer, Ray, Robertson & Ungson, 2022).

يقصد بالحكم الأخلاقي إذن أي قرار يتخذه الفرد بتصرف ما في موقف يعد معضلة؛ لأن سياقه محير بين تصرفين متناقضين، أو أكثر، لتعارض المبادئ الأخلاقية الموجهة للسلوك في هذا الموقف، يعكس هذا

الحكم تمييز صاحبه بين الصواب والخطأ؛ كاشفًا معتقداته عنهما أو توجهه الأخلاقي (VandenBos, 2015, 385, 667)، ويختلف هذا الحكم عن كل من:

- الارتقاء الأخلاقي ويشير إلى «عمليات تكوين تدريجي لتصورات الفرد عمَّا هو صواب أو خطأ» (VandenBos, 2015, 667).
- الذكاء الأخلاقي ويشير إلى «قدرة الفرد على فهم الصح والخطأ، والتصرف وفقًا لمعتقدات أخلاقية قوية» كما أشار «بوربا» Bor-ba، أو بكلمات أخرى: الذكاء الأخلاقي عبارة عن عمليات ترجمة المبادئ الأخلاقية إلى أفعال، وفهم دلالات مصطلحات هذه المبادئ لتفسير هذه الترجمة وتعزيزها. وتظهر هذه العمليات في مهارات تعامل الفرد وتحكمه في نفسه، وفي بيئاته من خلال معالجة وإدارة مسائل أخلاقية، وتعكس الفروق بين الأفراد في معالجة معرفية موسَّعة أو سطحية كأساس لاتخاذ قرار وتنفيذه وفقًا لآليات تنظيم الذات معرفيًّا ووجدانيًّا (Tanner & Christen, 2014).

ويتكون الذكاء الأخلاقي من خمسة مكونات: البوصلة الأخلاقية، وتشير للنظام المرجعي الذي يحتوي على المعايير أو القيم أو القناعات الأخلاقية، سواء أكانت موجودة، أو تم اكتسابها حديثًا، وتوفر الأساس للتقييم والتنظيم الأخلاقي - والالتزام الأخلاقي كما تعكسه الرغبة والقدرة على تحديد الأولويات، والسعي لتحقيق الأهداف الأخلاقية - والحساسية الأخلاقية، أو قدرة التعرُّف إلى قضية أخلاقية وتحديدها - وحل مشكلات أخلاقية، أو قدرة تطوير وتحديد مسار عمل مُرضٍ أخلاقيًّا، يعمل على حل التوجهات المتضاربة - والتوكيدية الأخلاقية، أو قدرة التصرف بثبات وشجاعة وفقًا للمعايير الأخلاقية على الرغم من عوائقه (Tanner & Christen, 2014).

3. 2 أهمية التقييم الأخلاقي للمجتمع

فهم عملية التقييم الأخلاقي، يساعد المجتمع في تقليل ظواهر سلبية كثيرة، تهدد استقراره عبر إضعاف منظومته للعدالة، ويعد الفساد الإداري والغش الأكاديمي والتجاري والتطرف والإرهاب أمثلة لهذه الظواهر وليس حصرًا لها:

- الإرهاب

مع أن الظاهرة الأكثر خطورة على البشر هي الإرهاب، فإن بحوثًا ضئيلة العدد قدرت المعرفة الأخلاقية لدى إرهابيين؛ استفادت هذه البحوث من دلائل أن الأحكام الأخلاقية لمرضى نفسيين جنائيين تعكس نزعة نفعية؛ إذ يحكمون على الضرر العارض بأنه مسموح به أكثر ممَّا يحكم غير المرضى، وحينما تواجههم معضلات أخلاقية يظهر المرضى النفسيون نشاطًا منخفضًا في مناطق مخية مقترنة بالحكم الخلقي (Angus & Carson, 2020). وعلى المنوال نفسه؛ لدى الإرهابيين والمتطرفين أشكال منحرفة بوضوح للمعرفة الأخلاقية، فلو رأى الإرهابيون فعلًا ما مناسبًا يسعون إلى تحقيقه مهما كان الأمر؛ حيث المبدأ الحاكم لهم أخلاقيًّا ليس مشروعية الفعل، بل نجاحه في تحقيق الهدف، فالغاية عندهم تبرر الوسيلة.

الدراسة الرائدة لهذه المسألة أجراها «بايز» Baez وزملاؤه (2018) وشارك فيها 66 عضوًا سابقًا بجماعات مسلحة صنفتها دول ومؤسسات كمنظمة إرهابية، مِمَّن أدينوا بالقتل وليسوا مرضى نفسيين أو مدمني مخدرات؛ تم تسريحهم خلال الفترة من 2003 حتى 2006، كما شارك 66 آخرين من غير الجنائيين مِمَّن ليس لهم تاريخ إرهابي أو تاريخ مرضي أو إدماني كمجموعة مناظرة؛ أدى أفراد المجموعتين مهمة أخلاقية تم فيها فصل إسهام نية الفعل عن إسهام عائد الحكم الأخلاقي، شملت المهمة ظرفين تجريبيين تطابقت فيهما النيات والعوائد: لا ضرر مقصود وقع - ومحاولة إضرار تمت بنجاح، وظرفين آخرين تعارضت فيهما النيات والعوائد: ضرر مقصود لم ينجح وقوعه - وضرر وقع عارضًا. وتم تطبيق مهام إضافية لتقدير مجالات معرفية/انفعالية، هي مستوى الذكاء والوظائف التنفيذية والسلوك العدواني والتعرُّف إلى الانفعال.

كشفت النتائج أن الإرهابيين يظهرون مستوى عدوان استباقي أعلى ممَّا يظهره غير الجنائيين، كما يظهرون درجات منخفضة في التعرُّف إلى الانفعال مع صعوبات في اكتشاف الغضب والحزن والاشمئزاز، بينما لا توجد فروق بين المجموعتين في نسبة الذكاء السائل والذكاء اللفظي والوظائف التنفيذية والعدوان كرد فعل. والنتيجة الأكثر أهمية ذات الصلة بالحكم الخلقي هي أن أفراد كلتا المجموعتين سمحوا بأفعال ذات مقاصد وعواقب محايدة أكثر من أفعال ذات مقاصد وعواقب سلبية، لكن الإرهابيين مقارنة بغير الجنائيين حكموا أن الأذى العارض مسموح به بدرجة أقل، والضرر المقصود مسموح به بدرجة أكبر.

وللتأكد من أن هذه الأنماط النوعية هي للإرهابيين وعكسها لجنائيين آخرين؛ تم تطبيق مهمة الحكم الأخلاقي على مجموعة ضابطة ثانية من المدانين بجرائم قتل، وليس لهم خلفية إرهابية، وهذه المجموعة تضاهي مجموعة الإرهابيين في مدة السجن والعمر والنوع والتعليم، وكشفت المقارنة بين المجموعات الثلاث أن الإرهابيين مقارنة بالمجموعتين حكموا أن الأذى العارض مسموح به بدرجة أقل والضرر المقصود مسموح به بدرجة أكبر، بينما لم توجد فروق دالة

بين مجموعتي الجنائيين وغير الجنائيين في أي من الظرفين.

تقدم هذه النتائج دليلًا على أن تشوه الحكم الخلقي سمة مميزة لعقلية الإرهابي؛ لذا الضرر العارض خطأ أخلاقي أكبر من ضرر مقصود، والعكس لغير الجنائيين. قد يبدو نمط الحكم الأخلاقي المشوه لدى الإرهابيين متناقضًا مع كونهم يبررون أفعالهم عادة في ضوء ضرورات أخلاقية، إلا أن استدعاء حجة لتبرير فعل لا تعني بالضرورة الاعتقاد في صحتها؛ قد يكون التبرير الأخلاقي إستراتيجية لاحقة post - hoc لحفظ ماء الوجه أو لخفض الإحساس بالمسؤولية الشخصية.

من ناحية أخرى؛ فإن النمط الملحوظ لدى الإرهابيين يشبه اختلالات الحكم الخلقي لدى مرضى الاضطراب العصبي عته الفص الجبهي الصدغي front - temporal dementia، الذين يحصلون على درجات مرتفعة على سمات الاندفاعية والاعتلال الاجتماعي sociopathic والإجرامية، ويتميزون أيضًا باعتماد متناقص على معلومة أن الضحية بريء أو النية كانت حسنة؛ ولديهم اعتماد مفرط على مردود الفعل في كل من الأذى المقصود والعارض. لذا يتشابه الحكم الأخلاقي للإرهابيين مع الذين يعانون تلفًا بالمناطق الجبهية والصدغية المختصة بالمعرفة الأخلاقية، وتبرز هذه المقارنة الحاجة لبحوث مستقبلية حول علاقات بناء المخ ووظائفه بالحكم الأخلاقي لدى الإرهابيين.

كشفت الدراسة أيضًا أن الحكم الأخلاقي لدى الإرهابيين ارتبط وبشكل دالٍّ إحصائيًّا بالعدوان الاستباقي، ولم يرتبط بكل من: العدوان كرد فعل، والذكاء السائل والوظائف التنفيذية؛ وتتسق هذه النتيجة مع مسارين من الأدلة: أولهما: أن مستوى الذكاء لا يرتبط بقدرات الاستدلال الأخلاقي، والمسار الثاني: أن الأحكام الأخلاقية المنحرفة قد تظهر أيضًا لدى متوسطي ومرتفعي الذكاء، وهذا يتناقض مع وجهة النظر التي تقول: إن انخفاض الذكاء والقدرات التنفيذية هو مفتاح العدوان والسلوك الهجومي (بايز وآخرون، 2018). ومع ذلك، ونظرًا لتعقيد الوظائف العقلية التنفيذية؛ ممَّا يجعل قياسها باختبار مفرد صعبًا؛ يجب أن تقدر البحوث مستقبلًا البروفيل التنفيذي للإرهابيين بواسطة بطارية نفس عصبية شاملة.

أكثر من ذلك؛ فمع أن قدرات تنظيم الانفعال ترتبط جزئيًّا بالحكم الأخلاقي، فإنها لا تنبئ بنمطه لدى الإرهابيين، ولا تمايز بين الإرهابيين وغير الجنائيين. وفي هذا الصدد تدعم النتائج القول بأن صعوبات المعالجة الانفعالية ترتبط باختلالات الحكم الأخلاقي، وتتسق أيضًا مع دراسات بالتصوير العصبي كشفت دورًا جوهريًّا في معالجة الانفعال لمناطق مخية كاللوزة amygdala والقشرة البطنية قبل الجبهية ventromedial prefrontal؛ حيث تبين الاختلافات الوظيفية فيهما لدى المرضى النفسيين أنهم يفتقرون إلى التعاطف والتحكم في الانفعالات، وهما آليتان ضروريتان للشعور بمسؤولية أخلاقية كاملة، مع ذلك لا يمكن تأكيد أن اختلال وظيفة منطقتي المخ هذه سبب تشوه الحكم الأخلاقي الذي ينتج عن تغييرات نفسية تقوض آليات ضبط السلوك وفقًا لضوابط أخلاقية (Jefferson, 2022).

ظهر واضحًا أن تشوه الحكم الخلقي سمة مميزة للإرهابيين؛ ممَّا يبرز أهمية تقييمه حتى نمايز بين الجماعات الإرهابية، ونفهم العمليات المعرفية الاجتماعية وراء أفعالهم الوحشية. وهناك تطبيقات قانونية وقضائية لمثل هذا، فالأدوات الحساسة التي تحدد البروفيل المعرفي الاجتماعي تسهم بشدة في تحديد السلوك الإرهابي، وحتى إن كان إسهامها ليس كافيًا للتنبؤ بمن سيصبح إرهابيًّا، أو بمن من الإرهابيين سينتكس، فإنها تفتح الباب لبحوث مستقبلية عن المعرفة الأخلاقية لدى الإرهابيين، وهناك حاجة لدراسات طولية ومستعرضة تختبر القدرة التنبئية لمهام المعرفة الأخلاقية في تقدير السلوك العدواني المستقبلي، والتكيف الاجتماعي، ولأن الإرهاب ظاهرة دينامية؛ حيث عمليات الجماعة والعوامل النفسية الثقافية مهمة؛ لذا ستوضح البحوث مستقبلًا العلاقة بين هذه العوامل ومجالات المعرفة الاجتماعية.

ولهذه النتائج تطبيقاتها لمتطرفين أطلق سراحهم؛ حيث رصدت مستويات انتكاس مرتفعة لدى الذين أظهروا أحكامًا أخلاقية منحرفة، واختلالًا في التنظيم الانفعالي، ومستويات مرتفعة من العدوان؛ لذا يجب إجراء بحوث توضح ما إذا كانت تغيرات الحكم الأخلاقي لدى الإرهابيين تحدث خلال فترة السجن أم بعد الانتكاس.

الخلاصة، تكشفت هذه الدراسة أن الحكم الأخلاقي هو المقياس الأفضل للتمييز بين إرهابيين وجنائيين وغير جنائيين، فمع ملاحظة أن الجنائيين بوجه عام، والإرهابيين منهم خاصة، يرون أنفسهم أكثر نزاهة من غيرهم، كشفت النتائج أن الإرهابيين يحكمون على أفعال الآخرين بالتركيز على المردود، مقترحة أن للغايات أولوية أخلاقية لديهم بالمقارنة بالوسائل (بايز وآخرون، 2018).

3. 3 تشوه الحكم الأخلاقي نقطة التحول للإرهاب

كيف تشوه الحكم الأخلاقي لفرد ما على هذا النحو؟، الإجابة بإيجاز بسبب آليات تغير الهوية identity، فلكل فرد معتدل هويتان:

- هوية شخصية، أو وعي الفرد بكينونته، وأنه هو نفسه، ووعيه باعتراف الآخرين بفرديته (Phillips & Pohl, 2021, 38)، ولهذا

الوعي دور محوري في عمليات صاحبها المعرفية والوجدانية والسلوكية.

- هوية اجتماعية تعد أساسًا يدرك في ضوئه ذاته والآخرين، وتجعله يميَّز بين من على شاكلته؛ لأنه عضو في جماعته، وبين من يختلف عنه لعضويته في جماعة أخرى، هذا التمييز يجعله يدرك أن مجرد عدم العضوية في جماعته بمنزلة اعتداء عليه، يستوجب مقاومة أدنى درجاتها نفوره أو عدم تقبله Intolerance أشخاص فئات أخرى، وهذا أبرز ملامح التعصب (Cullingford, 2000, 7).

هذه الثنائية مهمة لارتقاء الفرد معرفيًّا ووجدانيًّا واجتماعيًّا، لكن وبسبب عوامل سياقية معينة يحدث اختلال في هذه الثنائية؛ حيث تنصهر هوية الفرد الشخصية، وتتوحد هويته الاجتماعية مع عضويته في جماعة، ويستبدلهما بهوية جمعية تنشأ عندما يحدد الفرد عضويته وفقًا لتمثيلات representations معرفية لما هو ملامح جوهرية للجماعة التي ينتمي لها؛ ممَّا يترتب عليه تبني أساليب خاصة عند تعامله مع الآخرين؛ الأمر الذي يزيد التعصب والتحيز والتمييز بين الفئات الاجتماعية، فيؤيد الفرد وبشكل مطلق جماعته الداخلية، ويدعم سيادتها في أثناء تنافسها مع جماعات أخرى دون التفات لمبادئ أخلاقية، فهذه الهوية الجمعية تؤثر بشدة في قرارات صاحبها وأحكامه وتقييماته الأخلاقية (Van Bavel, et al., 2022).

وحيث لكل جماعة صفة مركزية تشكل هُوية أعضائها الجمعية، فإن الجماعات تتعدد بتعدد هذه الصفات المركزيَّة، ويؤدي تغليب الفرد صفة منها على الأخريات، إلى بروز هوية جمعية بعينها، تبلور توقعاته لما يصدر عن غيره، وتقييمه لاختيارات الآخرين، ينتج عن هذا عملية ضبط tuning أخلاقي داخل الجماعة تجعل أعضاءها مدفوعين لتأكيد وتقوية معاييرها والسعي لتحقيق أهدافها (Bavel, et al., 2022).

كيف يمثل تغير الهوية تحولًا في التقييم الأخلاقي الذي هو أساس تحول فرد ما إلى إرهابي؟، توجد ثلاث إجابات تتكامل معًا لتفسر لنا هذا التحول:

يرى مقدم Moghaddam (2006) أن التحول الإرهابي يأتي عندما ينتمي فرد ما لجماعة، ونتيجة احتوائها له ومجاراته وطاعته لها تنصهر هُويته الاجتماعية؛ فتصبح مرادفًا لهويتها، فتكون هوية جمعية، لهذه الهوية مبادئها وأحكامها الأخلاقية التي هي أخلاق الإرهابيين، تشكل هويته عبر استدخال معتقدات خاطئة عن العالم، تبرر الأعمال الإرهابية، فهذه المعتقدات هي الثقافة التي تشكل هوية الإرهابي، كما تعد أساسًا لتصنيف البشر إلى «معنا مقابل ضدنا، أو أصدقاء مقابل أعداء»؛ عندها يصبح الفرد قادرًا على القيام بعمل إرهابي.

يضيف «زيمباردو» Zimbardo, (2007) إلى ما سبق عمليتين أساسيتين هما: نزع التفرد والتجريد من الإنسانية:

يقصد بـ نزع التفرد De - individualization عملية فقدان الفرد إحساسه بتفرده عن غيره، بمعنى فقدان هويته الشخصية، هذا الفقدان يحدث عندما يلتحق بجماعة متطرفة، ويصبح مجرد عضو بها، أي مجهولًا، لا يتعرف عليه، أو يهتم به أحد، عندها يقل إحساسه بالمسؤولية الشخصية، ويقل التوتر الناتج عن التقييم؛ حيث لا أحد يهتم به، ومن ثم تزيد احتمالات قيامه بأعمال شريرة.

يقصد بـ تجريد الآخر من الإنسانية Dehumanization أن يستبعد الفرد غيره من منظومة الأخلاق التي يتعامل بها البشر، فينظر له بوصفه ليس إنسانًا، وهذا هو حجر الزاوية في الاتجاهات التعصبية وسلوك التمييز والكراهية، ويترتب على قيام الفرد بهذه العملية أربعة أمور: - أ) تبرير أفعاله المؤذية للآخر. ب) تقليل إحساسه بالمسؤولية عن أفعاله المؤذية. ج) تجاهل أو تشويه عواقب أفعاله المؤذية. د) إلقاء اللوم على ضحية أفعاله؛ لأنه يراه يستحق هذا وأكثر، هكذا يشيطن الآخر؛ فإيذاؤه، وربما قتله أمر مقبول مبرر. وتوضح نظرية «تدهور الضبط الأخلاقي» degradation of moral restraint كيف يؤدي تجريد الفرد من إنسانيته إلى الإساءة له، يتم هذا كما يرى «كلمان» Kelman عبر عمليات ثلاث: ترخيص -autho rization للمسيء بأفعال يفسرها على نحو يبرر له إساءاته، ممَّا يضعف التزامه بمبادئ أخلاقية؛ فيدرك أن المساء لهم ليسوا بشرًا مثله، ممَّا يعد تبريرًا أخلاقيًّا للإساءة (Moore, 2019).

تؤدي الهوية الاجتماعية دورًا جوهريًّا في الأداء العام للمجتمع، فهي مدخل السلام الاجتماعي، وصراع جماعاته أيضًا، والمراهقون هنا الأكثر هشاشة، ليس فحسب، لأن قدراتهم المعرفية لم ترتقِ بما يكفي لبناء هُوياتهم، التي هي تصنيف اجتماعي يعرف الذات، ويحدد الاتجاهات والتصرفات تجاه أفراد الجماعات المختلفة، وأيضًا إزاء ما يواجهونه من تحديات متزايدة.

هذا التحديد، وذاك التعريف يتم عبر عمليات ذكرها Luyckx وزملاؤه (2008) في إطار تفسيري أطلقوا عليه «منحى متمركز حول عملية بناء الهوية»، يتكون من خمسة أبعاد تنقسم إلى عمليات استكشاف موسع باستدخال هوية موجودة واجترارها في مراحله الأولى، ثم استكشاف معمق بعد ذلك لبدائل هوية مختلفة، وعمليات صنع قرارات، تتعلق بقضايا الهوية، ثم الالتزام بها عبر التوحد والانفعال (McKeown, Cavdar & Taylor, 2020).

واجه هذا المنحى تحدي إجابة السؤال: لماذا يبحث بعض الأفراد عن جماعات متطرفة للانتماء لها؟ وكيف يتوحدون مع معاييرها؟، هذه الإجابة كما يرى «سميث» Smith وزملاؤه (2020) هي الدور المركزي الذي تؤديه علاقات وعمليات تفاعل ونقاش داخل الجماعة وبين الجماعات، والتنافس في إدراكات وصفها ومشاركتها، فعندما يدرك الأفراد من خلال التفاعل وجهًا لوجه أو عبر الإنترنت أنهم يتشاركون رؤى وخبرات إقصاء وتمييز يتوافقون عليها، ويستدخلونها فتصبح ذاتًا جمعية، ولأن المتطرفين داخل الجماعة متعهدو هوية، يعززون تجمع الأعضاء حول فكرة معينة وفعل بذاته، فإنهم يشكلون الطابع الجمعي للظلم، ويضعون معايير مواجهته بالعنف؛ حيث إدراك الظلم الذي تعرضت له الجماعة، يصبح أساسًا لهوية مشتركة مفتاحها: صلاحية اجتماعية وإجماع social validation consensus، ثم يقدم محتوى التفاعل داخل الجماعة دعمًا للتوجه نحو العنف بمناقشة العلاقات داخل الجماعة وخارجها، واقتراح أفعال بعينها لمواجهة تهديد. هكذا وظف تنظيم الدولة «داعش» بكفاءة تكنولوجيا المعلومات في نشر أيديولوجيته والدعاية لأنشطته، وتنسيق عملياته وتطويرها، وجمع الأموال، وتجنيد آلاف المقاتلين الأجانب الذين هجروا أوروبا لنصرته (UN Counter - Terrorism Committee, 2015, p. 82)، وأنتج بواسطة منصات التواصل الاجتماعي «هوية جمعية جهادية» جديدة لدى داعميه، الذين شكلوا جماعة نفسية اجتماعية عبر الإنترنت، يسترشد أعضاؤها بأيديولوجية «داعش» ومعاييره (Smith, et al., 2020).

وتتكامل الإجابات الثلاث لتفسر لنا التحول لإرهابي، فالإرهاب استجابة لـ«أزمة هوية»؛ إذ يهدد الصراع السياسي أو الديني الفرد بفقدان هويته الشخصية، فيسعى لتأكيدها، ومن ثم الإحساس بالقيمة خلال التفاعل مع جماعة متطرفة، فيعيد انخراطه في أنشطتها التي تشكل هويته (Phillips & Pohl, 2021, 43). ويجب أن تركز جهود مكافحة الإرهاب على تحقيق هذا الشعور بواسطة جماعات بديلة للجماعات الإرهابية؛ لذا من الضروري إجراء بحوث حول تشكل الهوية حتى نتعرف على الأنشطة التي تسهم فيها مبكرًا (National Academies of Sciences, Engineering, and Medicine, 2022, p. 97)، وتقوية جماعات اجتماعية تقوم بها بكفاءة.

3. 4 التجريد من الإنسانية جوهر تشوه الحكم الأخلاقي

يتضح ممَّا سبق أن جوهر تشوه الحكم الأخلاقي هو قيام فرد بتجريد غيره من إنسانيته، فالتجريد من الإنسانية يشير في اللغة إلى قيام شخص بالنظر إلى آخر على أنه ليس إنسانًا، ومن ثم لا يستحق حقوق البشر، فالمقطع اللاتيني de إذا سبق اللفظ الإنجليزي human دل على انفصال من الإنسانية، أو الحرمان منها. بدأ تناوله في علم النفس ضمن دراسات التعصب ورائدها «ألبورت» Allport (1954)، والوصم ورائدها «جوفمان» Goffman 1963، وعده «برنارد» Bernard وزملاؤه (1971) ميكانيزمًا للدفاع النفسي عن الذات، وقدمه «كلمان» Kelman (1973) و«باندورًا» Bandura وزملاؤه 1975 في دراسات تجريبية عن العنف (Kronfeldner, 2021).

يختلف التجريد من الإنسانية عن الكراهية على الرغم من الخلط بينهما لدى عامة البشر وبعض الباحثين، ربما لأن كليهما ممارسة مكتسبة ثقافيًّا وليست فطرية، إلا أن الدراسات السابقة تفسر كلًّا منهما بشكل مختلف، فالكراهية شعور سلبي تجاه شخص تدرك قيمته الاجتماعية، أما إذا جردته من إنسانيته، فأنت تدركه عديم القيمة اجتماعيًّا، كما كشفت الدراسات أن مراكز الدماغ التي تنشط حال قيام فرد بتجريد غيره من إنسانيته تختلف عنها عند تقييم أشخاص أو حيوانات يحبها أو يكرهها (Luft, 2023).

يتنبأ التجريد من الإنسانية بكل صور التنميط والظلم والتمييز والتهميش والوصم والاغتصاب والتعذيب وكل أشكال المعاملة غير الإنسانية كالإكراه والإخضاع والقمع والاستغلال والاستعباد والإبادة الجماعية (Landary, et al., 2024; Sitruk, Summers & Lloyd, 2023). وتعد إهدارًا لشخصية فاعلها الأخلاقية؛ لأنه حرم غيره من حق المساواة مع بشر، وميز «أوتوو» Opotow 1990 بين ثلاث صور لها: الإقصاء داخل المجتمع بالحرمان من حقوق المواطنة - والإقصاء من المجتمع بالنفي أو الاعتقال - والحرمان من الحياة بأي من طرق القتل (Kronfeldner, 2021).

خطورة هذا تتجاوز الترخيص بالإيذاء إلى تهديد أمن المجتمع كاملًا، لكونه يقوض الأخلاق والمساواة والتنوع داخله (Golossenko, Palumbo, Mathai & Tran, 2023). وللحد من هذه الخطورة يجب التعرُّف إلى كيفية فهم البشر للإنسانية، فالتجريد من الإنسانية عملية نفسية يسعى من خلالها صاحبها إلى تخفيف المخاوف الأخلاقية فيما يتعلق بالعنف والأذى الذي يلحقه بأولئك الذين لا يعتبرهم بشرًا.

ونظرًا لخطورة التجريد من الإنسانية وعواقبه كالإبادة الجماعية genocide، يصبح ضروريًّا تحديد العوامل المؤثرة في تصنيف البشر إلى مجموعات، وفي مفاهيم إسناد الإنسانية بعضهم إلى بعض، ومنعها عن غيرهم، يتم هذا التحديد من خلال بعدي التقييم

الاجتماعي: الفاعلية والتواصل باعتبارهما بعدين أساسيين لكيفية إدراك الأفراد أنفسهم وغيرهم والفئات الاجتماعية.

4. نماذج نظرية تفسر تصنيف البشر

تصنيف البشر إلى فئات اجتماعية أمر طبيعي، فهو مركز عملية تكوين انطباعات متبادلة تعد أساسًا لتفاعل لاحق بينهم، هذا التصنيف قد يتجاوز هدفه الإيجابي بالنزوع نحو تجريد البعض من إنسانيته، الذي يكون أحيانًا تعبيرًا لحاجة البعض إلى رفض أعضاء جماعة خارجية، فيجردونهم من إنسانيتهم حتى يكون رفضهم أسهل ومبررًا، فالرفض إعلان صريح أنهم غير مرغوب فيهم، إنه نوع محدد من الإقصاء يتضمن اهتمامًا سلبيًّا مباشرًا يبخس قيمة العلاقة معهم (Lelieveld, et al., 2024). فالبشر يكونون انطباعات متبادلة عبر القيام بتصنيف عفوي إلى فئات، تتشكل لاحقًا هذه الانطباعات في دوافع ومقاصد سلوكية تجاه أشخاص هم موضوع هذه الانطباعات، قدم علماء النفس نماذج نظرية تصف كيفية هذا التشكل:

- أشار «ليينز» Leyens وزملاؤه إلى ما أطلقوا عليه «اللاإنسانية» للإشارة إلى صور نمطية عن أفراد جماعة كونها أعضاء جماعة أخرى، مضمون هذه الصور افتقارهم إلى صفات كالعقلانية والفطنة؛ حيث أدركوا أن الانفعالات الأولية مكتملة لديهم لكنهم يفتقرون إلى الانفعالات الثانوية. بكلمات أخرى يرونهم بشرًا لكنهم أقل من الإنسان الأمثل، تكونت هذه الصور النمطية بين أفراد جماعتين، أو أكثر علاقاتها غير صراعية (Landry, 2023).
- وسع «هاسلام» Haslam هذا التجريد في «النموذج الثنائي» dual model حيث تشمل أنسنة الفرد نمطين مستقلين لكنهما مرتبطان: طبيعته كإنسان أو وسع خبرته الانفعالية الذي يميزه عن غير الأحياء، وتفرده كإنسان أو وسع المستوى الأعلى من عملياته المعرفية؛ ممَّا يميزه عن سائر الحيوانات. فالتجريد من الإنسانية ليس -فحسب افتقار من تم تجريده- صفة مهمة من صفات الإنسان، بل أيضًا افتقاره للطبيعة البشرية، فحينما يجرد شخص غيره من إنسانيته، فهو يراه أقل أنسنة من غيره، ويشبهه إما بحيوان وإما بآلة (Bastian & Haslam, 2011).
- أما نموذج «إدراك العقل» mind perception فقدمه «وايتز» Waytz و«إبليي» (Epley, 2012) كخلاصة أربع تجارب قاما بها تشير نتائجها إلى أن الارتباط connection الاجتماعي يفعل التجريد من الإنسانية، فكلما زاد لدى الفرد زاد ميله لتجريد غيره من إنسانيته، إما لأنه فشل أن يعزو إليه عمليات عقلية؛ فرأى قدراته أقل ممَّا لدى الآخرين، وإما لأنه قرر أن معاملته كحيوان أمر مقبول. كما أن وجود الفرد بالقرب من شخص مشتبه فيه كإرهابي تزيد احتمال تجريده من إنسانيته، ويزداد بالتالي التأييد لاستجواب قاسٍ له. هذا التأثير للارتباط الاجتماعي مصدره أن النظر لعقول الآخرين يتطلب جهدًا ودافعية ينقصان بزيادة الارتباط، كما أننا نعتبر عقلنا نموذجًا prototype نقيم عقول الآخرين بالمماثلة معه، وفهم آليات التأثير هذه بحاجة لمزيد من البحوث.
- نموذج محتوى التنميط stereotype content وقدمته «فيسك» Fiske وتصورها أن التجريد من الإنسانية دالة إعزاءات متبادلة لأبعاد الدفء والكفاءة، توصلت لتصورها هذا اعتمادًا على سلسلة دراسات التصوير العصبي لاستجابات لا إرادية لمشاركين في تجارب معملية. ترى أن اعتبار فرد ما إنسانًا مكتمل الإنسانية هو بتقدير أفكاره ومشاعره ونياته، يتم هذا التقدير بإدراك عقله، ويحدد علم الأعصاب مناطق بوسط الفص الجبهي لقشرة الدماغ مسؤولة عن هذا الإدراك، اختبرت إحدى دراسات «فيسك» (2015) تقدير المشاركين في التجربة سبب سلوك شخص ما، هل يرجع لنياته أم لعوامل أخرى خارجة، وجدت أن السببين ينشطان وبشكل متفرد الفص الجبهي الأوسط من المخ. ولا يحدث هذا النمط لكائنات تتصرف كما البشر، ممَّا يضع مزيدًا من القيود على إدراك الأفراد كبشر متفردين في المعرفة الاجتماعية.
- عند تصنيف فرد ما كبشر نستخدم بعدين أساسيين لتعريف الإدراك الاجتماعي: الدفء والكفاءة كسمات مدركة، فيسعى المدركون أولًا لمعرفة ما إذا كان هذا الفرد ينوي خيرًا أو شرًا، ويستنتجون كونه يتسم أم لا بسمات: الدفء والمودة وجدارته بالثقة والإخلاص، ثم يسعون ثانيًا لمعرفة ما إذا كان بإمكانه أن ينفذ نيته، وفي ضوء هذا يقررون اتصافه أم لا بصفات: كفء وقادر. هكذا ندرك الأفراد وفقًا للتعارض بين الأكثر إيجابية والأكثر سلبية، أو التعارض بين من نراه الكفء والدافئ مِمَّن هم على شاكلتنا، أي أعضاء جماعتنا، وبين غير الكفء والعدائي مِمَّن هو خارج جماعتنا، يفترض هذا الإدراك تبادلات متناقضة؛ حيث الارتفاع على بعد والانخفاض على بعد آخر، على سبيل المثال فإن الصورة النمطية لدى الشباب عن كبار السن أنهم أقل كفاءة؛ لكنهم يتسمون بالدفء، بينما الصورة النمطية لشخص غني أنه كفء وبارد المشاعر. يظهر أفراد أي من المجموعات الأربع (مرتفع/

منخفض الكفاءة مع مرتفع / منخفض دفء المشاعر) انفعالات فريدة من نوعها: الفخر، والاشمئزاز، والشفقة، والحسد، وتدعم الدراسات السلوكية محتوى هذا النموذج للصور النمطية.

لاختبار دور إدراك العقل في هذه الأنماط المتمايزة، تم تصوير -في دراسة أخرى لـ«فيسيك»- (2015) نشاط الدماغ لمشاركين عند رؤية صور أفراد مشردين ومدمني مخدرات وصفوا بأنهم الأكثر سلبية، فهم منخفضو الكفاءة ومنخفضو دفء المشاعر أيضًا، بدأت التجربة بتعرف المشاركين على صور أشخاص مجهولين كقياس قبلي لتمثيل كل من الإرباعي الأدنى لكل من الدفء والكفاءة مع ضبط متغيرات دخيلة كثيرة. تتنبأ بتصوير الدماغ وبشكل يعتد به بانفعالات سيذكرها المشاركون عبر التقرير الذاتي؛ إذ نشَّطت صور المشردين والمدمنين إعزاءات تثير الاشمئزاز، وتبرر عزلهم بشكل متسق مع إجابات أسئلة التقرير الذاتي، بينما فشلت صور المنبوذين في تنشيط الفص الجبهي الأوسط، فحجم الأثر غير الدال الذي أظهرته نصف حجم ما ظهر حال الإرباعيات الثلاثة الأخرى. معنى هذا أن المشاركين في هذه الإرباعيات فشلوا في عزو قدرات عقلية لمن قيموهم وقرروا استبعاد التفاعل معهم.

قدمت بيانات التصوير العصبي أدلة سلوكية تعد تنبؤات جديدة لدراسات علم نفس إدراك التجريد من الإنسانية، فالفرد لا يجرد المنبوذين - كالمشردين - وحدهم من إنسانيتهم، بل يجرد كذلك كل من ليس من جماعته، وينوي معاملتهم كالحشرات والقوارض، لهذا التشبيه بالحيوانات تأثيره المؤلم؛ لأن النظرة للحيوانات أنها لا تستحق اهتمامًا أخلاقيًّا مماثلًا لحقوق البشر، فتعامل إما بتجاهلها أو استغلالها.

هذا المنحى بحاجة للتوسيع والاختبار، فمقابل نتائج هذه الدراسات التي تبرز أساسًا عصبيًّا معرفيًّا للتجريد من الإنسانية، حظي بانتباه محدود أساسي لا يقل عنه أهمية، هو الأساس الثقافي والأيديولوجي الذي يحدد تأثير العمليات النفسية العصبية؛ لأنه يحدد مضامينها السلوكية على المستويين الفردي والجمعي؛ إذ يربط محتوى نشاط هذه العمليات شرطيًّا بمعانٍ ورموز ثقافية متباينة؛ حيث تعد مخاطر التجريد من الإنسانية جزءًا من نظرة أوسع لجماعة ما بوصفها مصدر تهديد، أو غير قابلة للإصلاح (Maynard & Luft, 2023).

هذا الإسهام بحاجة لبحوث نفسية منضبطة منهجيًّا، تتناول تأثير الاتجاهات النفسية الاجتماعية والانفعالات والمعتقدات الأيديولوجية في تباين التعبير السلوكي عن التجريد من الإنسانية، ويتطلب هذا تكاملًا بين علم النفس، وتخصصات أخرى في إجراء مثل هذه البحوث، التي ستساعد كثيرًا في فهم مخاطر التجريد من الإنسانية بواسطة تطوير أطر نظرية، توضح ملاءمة عناصر ثقافية معينة، وعلاقات اجتماعية بذاتها، تجعله مسارًا محتملًا للتطرف والإرهاب (Maynard & Luft, 2023).

النماذج السابقة غير كافية لتفسير إصرار القائمين بتجريد غيرهم من إنسانيتهم على الرغم من علامات متعددة ومتكررة، تؤكد أن ضحاياهم بشر، أحد الأسباب أنها تركز على تصورconception ظاهرة التجريد من الإنسانية أو وصفها لا تفسيرها، والوصف يسبق التفسير الذي يتطلب الخروج من عباءة علم النفس الاجتماعي التجريبي وعلم النفس المعرفي العصبي، خروجًا يتم حين نضع في الحسبان عوامل اجتماعية وتاريخية بالتساوي مع العمليات النفسية، وإجراء بحوث تختبر العلاقات السببية بينها (Smith, 2023).

من هنا كانت توصية باحثي المجال بضرورة النظر لظاهرة التجريد من الإنسانية بوصفها طيفًا واسعًا من المظاهر والأبعاد، فالتعامل معها بوصفها شيئًا واحدًا أضعف فرص تعميم نتائج دراساتها، وتسبب في تشوش فهمها، وأدَّى إلى خلط بين عملياتها المختلفة؛ إذ بعض مظاهرها قد توجه لأشخاص بعينهم، وبعضها الآخر قد يتأصل؛ فيصبح دوافع متنوعة، تؤدي إلى نتائج متباينة. بكلمات أخرى، بل تختلف أيضًا العمليات المعرفية الأساسية التي تنتجه، والتي تكون حساسة للبيئة الأيديولوجية والاجتماعية والمؤسسية المحيطة بطرفيه: القائم بالتجريد وموضوعه (Landry, 2023).

5. أبعاد التجريد من الإنسانية

تصور المنحى النفس عصبي أن التجريد من الإنسانية ظاهرة أحادية البعد ذات مستويين: خفي أو غير مباشر يعبر عنه تلميحًا لا صراحة، كميل لاواعي للتغاضي عن إنسانية الآخرين - وظاهر أو مباشر أو إنكار صريح لإنسانيتهم (Golossenko, Palumbo, Mathai & Tran, 2023). لكن السائد هو أنها ظاهرة متعددة الأبعاد، فالنماذج المشار إليها آنفًا تندرج تحت مظلة واحدة مفتاحها بعدان: سمات الكفاءة التي تبرز تفرد الفرد، وخصائص الطبيعة الإنسانية كخبرة التواصل (Sitruk, et al., 2023)، عبر عنهما Haslam 2006 كما يلي:

- يتم تجريد الفرد من إنسانيته وصفيًّا عندما ينظر إليه على أنه أقل من إنسان: إما بتجريد تفرده من خلال بخس قدراته، فيتم إدراك أن مستوى قدراته المميزة للإنسان أقل ممَّا لدى البشر، مثل: نعت فرد بأنه «حمار» لغبائه، أو «نعامة» لجبنه، وهكذا، وإما بتجريده من طبيعته بوصفه أنه حيوان ليس له حق حتى في الحياة، فليس بشرًا له حقوق المواطنة (Hodson & Dhont, 2023).

- يتم تجريد الفرد من إنسانيته بشكل معياري عندما يُنظر إليه باعتباره يفتقر إلى الالتزام العميق بالقيم الأخلاقية الحميدة، ورأى «فريك» أن هذا التجريد المعياري إما أن يكون كامنًا على المستوى المعرفي فقط، وإما أن يكون نشطًا بمعنى يعبر صاحبه عنه لغويًّا أو فعليًّا من خلال سلوك وتصرفات (Kronfeldner, 2021).

وجدت أربع دراسات أجراها «فيليبس» (2023) دليلًا على أن التجريد المعياري من الإنسانية ليس مجرد كراهية من جرد منها، وإنكار إنسانيته المثالية، بل إنه أيضًا مؤشر فريد للعداء له، وتختلف أنماط هذا العداء وفقًا لكون التجريد من الإنسانية وصفيًّا أو معياريًّا، بما في ذلك الأنماط التي لا يتم التقاطها بالضرورة من خلال التمييز بين كون الضرر لغرض إيجابي أو سلبي، كما هو حال - على سبيل المثال - أشكال مختلفة من العقوبة انتقامي مقابل تصالحي (re-storative)؛ وأشكال مختلفة من العنف (العنف الذرائعي مقابل الأخلاقي) كاستجابات عاطفية من جانب الذي جرد غيره من إنسانيته. كشفت الدراسة أن التنبؤ بالعنف الذرائعي يتم عند تفسير التجريد من الإنسانية على أنه إنكار للعقل، ولا يتنبأ هذا التفسير بالعنف الأخلاقي، ربما يكون إنكار العقل في المقام الأول شكلًا من أشكال التجريد الوصفي من الإنسانية، وهذا ما يفسر فشله في التنبؤ بالعنف الأخلاقي.

من وجهة نظر من يجرد غيره من الإنسانية، فإن موقعه على بعدي الإنسانية يفسر تصرفه، على سبيل المثال، عندما يرى الفرد أن معارضًا سياسيًّا أو أيديولوجيًّا ينتمي إلى جماعته العرقية أو الدينية مثلًا، فإنه سوف يقيمه بدرجة مرتفعة نسبيًّا في البعد الوصفي، وبدرجة منخفضة نسبيًّا في البعد المعياري. أما إذا كان يميل لاعتبار صفات كالذكاء والعقلانية عنصرًا أساسيًّا في كوننا بشرًا بالمعنى الوصفي، فسوف ينظر لخصومه كمصدر تهديد، لقدرتهم الكبيرة على تطبيق منظومتهم القيمية المنحرفة أخلاقيًّا. كذلك قد يقدر شخص أفرادًا كالمعاقين جسديًّا، أو ذهنيًّا مرتفعين نسبيًّا في البعد المعياري ومنخفضين نسبيًّا في البعد الوصفي على سبيل المثال، وأيضًا قد يرى البعض أن الأشخاص الصغار أقل من إنسان كامل بالمعنى الوصفي، لكنهم قد يرونهم بشرًا كاملين بالمعنى المعياري.

شكل آخر للتجريد من الإنسانية يمكن تسميته التشيؤ -Ob-jectification؛ أي رؤية البشر كآلات (أدوات أو «روبوتات» أو «ماكينات»)، تشمل الفئات المستهدفة لهذا النوع من التشيؤ أفرادًا مرتفعي الكفاءة؛ لكنهم منخفضو دفء المشاعر، ومن خارج الجماعة التي ينتمي لها صاحب هذه النظرة، كنظرة الفقراء للأغنياء والمواطنين للمهاجرين. معنى هذه النتائج: أ) تمتد بمعنى التجريد من الإنسانية إلى التشيؤ، وهو ظاهرة مرتبطة بها، لكنها مختلفة؛ لأن علامتها المميزة هو انخفاض تنشيط الفص الجبهي الأوسط في المعرفة الاجتماعية. ب) يرتبط انخفاض النشاط الظاهر بوجود فروق فردية ملائمة نظريًّا للتحيز الجنسي العدائي بما يتسق مع التشيؤ. ج) تظهر استجابات متناقضة لمجموعة ينظر إلى أفرادها عادة بوصفهم ودودين، بما يتسق مع تنبؤ النظر لهذه المجموعة بقدر من الغيرة (فيسك، 2015).

قدمت «ميكالا» (2021) وجهة نظر أخرى، مؤداها أن التشيؤ شكل مختلف عن التجريد من الإنسانية، فهناك فرق بين معاملة شخص ما حرفيًّا كشيء، ومعاملته كما لو كان شيئًا، الفارق هو غياب الاعتراف السابق بإنسانيته في الحالة الأولى مقابل تقليله في الحالة الثانية. وفقًا لهذا فإن التجريد من الإنسانية ليس معادلًا للتشيؤ؛ إذ يتضمن التجريد من الإنسانية إنكارًا، أو عدم احترام لقدرات مهمة تتعلق بالشخص، بمعنى أنه اعترف أولًا بإنسانيته، ثم جرده منها، على عكس التشيؤ الذي هو إنكار إنسانيته ابتداءً.

6. الخاتمة

خلال العقود الماضية استخدم التجريد من الإنسانية في سياق علاقات صراع عدائي بين أعضاء جماعات داخلية وخارجية، ثم امتد ليفسر نظرة الأصحاء لأصحاب الإعاقات الجسدية المختلفة (Sitruk, et al., 2023) بل امتد ليفسر تجريد الشخص نفسه من إنسانيته؛ نتيجة إما لتعرضه للإساءة أو الاستغلال (Bastian & Haslam, 2011)، وإما مروره بأزمة حادة؛ مثل: التعرض للتلوث أو الإحساس بالعجز أو الإصابة بجائحة «كورونا» أو الخوف منها؛ إذ كشفت نتائج ثلاث دراسات أجراها «شي» Shiوزملاؤه (2023) عن ارتباط إيجابي دال بين التهديد بالإصابة، وتجريد الذات من إنسانيتها. أضف إلى ذلك أن المبدأ الأساسي لليمين المتطرف هو حول تجريد «الآخرين» من إنسانيتهم، وتبني منظور الداروينية الاجتماعية «البقاء للأصلح»، وقد يكون هذا المبدأ جذابًا لأفراد يعدون أنفسهم «غرباء» عن مجتمع غير عادل، وتعلموا كيفية التعامل مع الشدائد من خلال الانسحاب منه، أكثر هؤلاء انجذابًا هم الذين تعرضوا لمحن في طفولتهم؛ فأصبحوا قابلين للتطرف (Logan, Windisch & Simi, 2024).

والتطور الأخطر هو تشجيع الأطفال والمراهقين على تجريد غيرهم من إنسانيتهم، يتم هذا من خلال الألعاب الإلكترونية التي أصبح إنتاجها أسهل، وأصبحت أداة تروج للتطرف والعنصرية ومعاداة

السامية، وكراهية الإسلام ورهاب التحول الجنسي، واستغلتها جماعات متطرفة للإعلان عن أفكارها وممارساتها بما في ذلك تجريد خصومها من إنسانيتهم وتصوير العنف ضدهم كآلية إيجابية (Kingdon, 2024).

7. التوصيات

توسع استخدام التجريد من الإنسانية كمفهوم يفسر ظواهر سلبية كثيرة في مجالات العلاقات والتعليم والتسويق والعلاقات المتبادلة بين أفراد، أهدافهم ونياتهم متعارضة، يفرض هذا التوسع على الباحثين العرب في هذه المجالات الانتباه لهذه الظاهرة، ودراستها في سياقنا الثقافي الاجتماعي. والتوصية الواجب أن تحظى باهتمامهم هي ضرورة إجراء بحوث ميدانية تختبر كيفية قياس التجريد من الإنسانية، حتى يمكن التنبؤ بالمهيئين لتجريد غيرهم من إنسانيتهم. واستنادًا لنتائج هذه البحوث يتم إعداد وتطوير برامج تدخل نفسي للحد من مخاطر ظاهرة التجريد من الإنسانية، فإذا كان التقييم الاجتماعي وما يتضمنه من تقييم أخلاقي مهمًّا لاستدامة التفاعل بين أطرافه؛ فيجب اتخاذ إجراءات وقائية حتى لا تتحول هذه العمليات النفسية الاجتماعية إلى وجهها السلبي، وهو التجريد من الإنسانية.

الإفصاح عن تضارب المصالح

يعلن المؤلف أنه ليس لديه أي تضارب في المصالح للمقالة المنشورة.

الإفصاح عن تمويل البحث

يعلن المؤلف بأن البحث المنشور لم يتلقَ أي منحة ماليَّة، من أي جهة تمويل في القطاعات الحكوميَّة، أو التجاريَّة، أو المؤسسات غير الربحية.

المراجع

بايز، س. وآخرون (2018). التقييم الأخلاقي الموجه بالنتائج لدى الإرهابيين (ترجمة: عبد المنعم شحاتة). علم النفس، 116، 213- 230.

فيسك، سوزان (2015). من اللا إنسانية والتشيؤ إلى استعادة الإنسانية: دراسات التصوير العصبي لركائز التعاطف (ترجمة: عبد المنعم شحاتة). علم النفس، 104/105، 149 - 155.

Abdai, J., & Miklósi, Á. (2016). The origin of social evaluation, social eavesdropping, reputation formation, image scoring or what you will. Frontiers in Psychology, 7, 1772.

Abele, A., Ellemers, N., Fiske, S., Koch, A., & Yzerbyt, V. (2021). Navigating the social world: Toward an integrated framework for evaluating self, individuals, and groups. Psychological Review, 128(2), 290.

Angus, D. & Carson, M. (2020). Mental Illness and Moral Discernment: A Clinical Psychiatric Perspective. European journal for philosophy of religion, 12(4), 191- 211.

Bastian, B. & Haslam, N. (2011). Experiencing dehumanization: Cognitive and emotional effects of everyday dehumanization. Basic and Applied Social Psychology, 33(4), 295–303.

Golossenko, A., Palumbo, H., Mathai, M. & Tran, H. (2023). Am I being dehumanized? Development and validation of the experience of dehumanization measurement. British Journal of Social Psychology. https://doi.org/10.1080/15236803.2023.2281021

Hodson, G. & Dhont, K. (2023). An Integrated Psychology of (Animalistic) Dehumanization Requires a Focus on Human - Animal Relations. Current Research in Ecological and Social Psychology, 100131.

Jefferson, A. (2022). Brain pathology and moral responsibility. https://philarchive.org/archive/JEFBPA - 2.

Kronfeldner, M. (2021). Introduction: Mapping dehumanization studies (1- 36) In: M. Kronfeldner (ed). The Routledge Handbook of Dehumanization. Routledge.

Landry, A. (2023). A Family - Resemblances Framework for Dehumanization Research. https://osf.io/preprints/psyarxiv/zqshv/download

Landry, A., Fincher, K., Barr, N., Brosowsky, N., Protzko, J., Ariely, D. & Seli, P. (2024). Harnessing dehumanization theory, modern media, and an intervention tournament to reduce support for

of the U.S. National Academy of Sciences and the Russian Academy of Science.

Phillips, B. (2023). Normative dehumanization and the ordinary concept of a true human. Current Research in Ecological and Social Psychology, 5, 100155. https://doi.org/10.1016/j.cresp.2023.100155

Phillips, P. & Pohl, G. (2021). Behavioral economics and terrorism: Law enforcement and patteren of behavior. Routledge.

Shi, J., Zhang, J., Lun, S. W., & Wang, X. (2023). I Am Not a Full Person: Perceiving threat of COVID - 19 leads to self - dehumanization. Current Research in Ecological and Social Psychology, 5, 100161.

Smith, D. (2023). Some conceptual deficits of psychological models of dehumanization. Current Research in Ecological and Social Psychology, 4, 100117.

Smith, L. Blackwood, L. & Thomas, E. (2020). The need to refocus on the group as the site of radicalization. Perspectives on Psychological Science, 15(2), 327–352.

Sitruk, J., Summers, K., & Lloyd, E. (2023). Dehumanizing disability: Evidence for subtle and blatant dehumanization of people with physical disabilities. Current Research in Ecological and Social Psychology, 5, 100162.

Tanner, C., & Christen, M. (2014). Moral intelligence: A framework for understanding moral competences. (119 - 136) In: M. Christen, J. Fischer, M. Huppenbauer, C. Tanner & C. van Schaik (Eds.). Empirically informed ethics. Springer.

UN Counter - Terrorism Committee (2015). Implementation of Security Council resolution 2178(S/2015/338; S/2015/683 ; S/2015/975).

Waltzer, T., & Dahl, A. (2023). Why do students cheat? Perceptions, evaluations, and motivations. Ethics & Behavior, 33(2), 130 - 150.

retributive war crimes. Journal of Experimental Social Psychology, 111, 104567.

Lelieveld, G., Noordewier, M., Doolaard, F & van Dijk, E. (2024). You are not selected: Two field studies on the association between dehumanization and social rejection. Current Research in Ecological and Social Psychology, 100182.

Logan, M. K., Windisch, S., & Simi, P. (2024). Adverse Childhood Experiences (ACE), adolescent misconduct, and violent extremism: A comparison of former left - wing and right - wing extremists. Terrorism and Political Violence, 36(1), 55- 74.

Luft, A. (2023). The moral career of the genocide perpetrator: Cognition, emotions, and dehumanization as a consequence, not a cause, of violence. Sociological Theory, 41(4), 324 -351.

Maynard, J. & Luft, A. (2023). Humanizing dehumanization research. Current Research in Ecological and Social Psychology, 4, 100102.

McKeown, S., Cavdar, D. & Taylor, L. (2020). Youth identity, peace and conflict: Insights from conflict and diverse settings. (189 - 202) In: N. Balvin & D. Christie (eds.). Children and Peace: From Research to Action. Switzerland: Springer.

Melis, A. & Raihani, N. (2023). The cognitive challenges of cooperation in human and nonhuman animals. Nature Reviews Psychology, 2(9), 523- 536.

Moghaddam, F (2006). From the terrorists' point of view: What they experience and why they come to destroy. Westport, CT: Praeger Security International.

Moore, S. (2019). The relativity of theory: applying theories of social psychology to illuminate the causes of the abuse of older people in care homes. The Journal of Adult Protection, 21(2), 89 - 110.

National Academies of Sciences, Engineering, and Medicine (2022). Roots and Trajectories of Violent Extremism and Terrorism: A Cooperative Program

VandenBos, G. (Ed) (2015). APA dictionary of psychology. Washington: American Psychological Association, 2 nd Ed.

Zimbardo, P (2007). The lucifer effect: understanding how good people turn evil. New York: Random House.

Waytz, A. & Epley, N. (2012). Social connection enables dehumanization. Journal of experimental social psychology, 48(1), 70 - 76.

Van Bavel, J., Packer, D., Ray, J., Robertson, C. & Ungson, N. (2022). How social identity tunes moral cognition. psyarxiv.com